

المحاضرة (07)

ثالثاً: الاتجاه التكاملي في تفسير الظاهرة الاجرامية:

تعددت النظريات التي جاء بها الاتجاه التكاملي لكن تقتصر الدراسة على اهم هذه النظريات والتي تعد الاشهر في تفسير الظاهرة الاجرامية.

01-مدرسة عالم الاجتماع انريكو فيري

يتزعم هذه المدرسة العالم " أنريكو فيري " E. Ferri "1856-1929" أحد تلامذة "لومبروزو" Lombrose وأستاذ القانون الجنائي، الذي وضع أسس علم الاجتماع الجنائي، وهو يمثل الاتجاه البيولوجي الاجتماعي في المدرسة الإيطالية القديمة بالرغم من تأييده للعالم "لومبروزو" Lombrose. وهناك من الباحثين من يرى بأن " فيري " هو المؤسس الحقيقي لعلم الجريمة الحديث. وأياً كان الأمر فإن لـ " أنريكو فيري " E. Ferri الفضل في تأسيس ما يعرف حالياً بـ " علم الاجتماع الجنائي " Criminal Sociology.

وقد وضع " فيري " أسساً للجريمة والسلوك الإجرامي بمعادلة تشبه المعادلة الكيميائية أطلق عليها قانون التشعب الإجرامي أو الكثافة السكانية، وأرجعها إلى عوامل ثلاثة هي:-⁴

- 1.عوامل طبيعية: مثل الموقع لجغرافي والمناخ والأحوال الجوية.. الخ.
- 2.عوامل فردية: مثل السن والجنس والخصائص العضوية والعوامل الموروثة.
- 3.عوامل اجتماعية: مثل كثافة السكان والعادات والتقاليد والتنظيم السياسي والظروف الاقتصادية وغيرها.

وقد التزم " فيري " E. Ferri في بحوثه ودراساته بالمنهج التجريبي الذي سلكه "لومبروزو" Lombros واختار في عام "1881" عينة تتكون من "300" مجنون و "700" مجرم من السجون و "711" جندياً كمجموعة ضابطة، وقد راعى في اختيارهم أن يكونوا من الأماكن ذاتها التي ينتمي إليها المجرمون، ومن مستواهم الاجتماعي نفسه، وقسم بحثه إلى قسمين الأول: يشتمل على النواحي البيولوجية، ويضم الثاني: الجوانب النفسية، ثم قام بتصنيف المجرمين إلى الطوائف التالية:

1. المجرم بالولادة أو بالغريزة Born Criminal:

وهو المجرم الذي لا يستطيع مقاومة غريزته وما ينتج عن ذلك من دوافع إجرامية ورثها منذ الولادة.

2. المجرم المجنون Insane Criminal :

وهو المجرم الذي يرتكب الأفعال الإجرامية المخالفة لقواعد المجتمع وقوانينه نتيجة لتخلفه أو لمرضه العقلي.

3. المجرم بالصدفة Occasional Criminal :

وهو المجرم الذي يرتكب فعله الإجرامي نتيجة لظروف عائلية وبيئية- اجتماعية وثقافية- أكثر من كونه ناتجاً عن عوامل شخصية أو نفسية متوارثة.

4. المجرم العاطفي Passionate Criminal :

وهو المجرم الذي يرتكب جرائمه نتيجة لعدم تمكنه من السيطرة على نوازه وانفعالاته.

5. المجرم المعتاد Habitual Criminal :

وهو المجرم الذي تكونت لديه العادة على ارتكاب الأفعال المخالفة للقانون والعادات والتقاليد الاجتماعية.⁵ وتبين له أن هناك 10% من السجناء و 37% من الجنود كانوا بدون التشويه الخلقي الذي ذكره لومبروزو وتؤكد مثل هذه النتيجة أن التشوهات وإن وجدت بكثرة في المجرمين إلا أن حالات الاستثناء كثيرة ومتعددة. ولقد حاول أن يعلل ذلك لومبروزو بأننا إذا وجدنا هذه التشوهات في الأمراء من الرجال والسيدات، فإننا نكون أمام طبائع إجرامية لم ترتكب بعد الفعل الظاهري لأن الظروف التي عاشوا في كنفها أدت إلى حمايتهم من إغراء الجريمة. ولكن هذا يعني أن لومبروزو يعترف صراحة أن البيئة تلعب دوراً هاماً في حدوث الجريمة وأن هذا في نفس الوقت يلقي ظلالاً من الشك على نظريته.⁶

وقد توصل فيري من بحثه إلى أن المسؤولية الجنائية لا تقوم على أساس خلقي وإنما على أساس من التضامن الاجتماعي الذي يفرض على المجتمع مسؤولية الدفاع عن نفسه من خلال تدابير وقائية أكثر منها عقابية.

وأخيراً يمكن إجمال أفكار " فيري " E. Ferri بما يأتي:

1. الجريمة هي نتاج عوامل متعددة " طبيعية وفردية واجتماعية."
2. إصلاح المجرم ليس كافياً، بل يجب بذل الجهود لإصلاح وسطه الاجتماعي.
3. التأكيد على أهمية السياسة الجنائية للوقاية من الجريمة.